البيت الزبيري

خلافة عبد الله بن الزبير

٦٤ـ ٧٣ هـ / ٦٨٤ـ ٦٩٢م

هـو **عبـد الله بـن الزبيـر** بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العـزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة عامر بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان. والزبير « والده » هو حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه أسماء « ذات النطاقين » بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أخت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر. وكنيته أبو بكر وأبو خبيب.

ولـد ابـن الزبـير في قُباء في السنة الثانية مـن الهجرة وهو أول مولود من المهاجريـن في المدينة. يعد من صغـار الصحابـة، وله ذكر في كتب الحديث الشريف، حيث روى في مسنده ثلاثة وثلاثين حديثاً. وكان ممن روى عنهـم والـده وجده لأمه وخالته السيدة عائشة أم المؤمنـين رضي الله عنها، ووالدته وغيرهم، وروى عنه أبنـاؤه وأحفـاده وجماعة من التابعين. فرح المسلمون بمولده لأنه أبطـل مزاعم اليهود القاطنين بالمدينة، فقد زعموا أنهم سحروا للمسلمين حتى لا يولد لهم أي مولود ذكراً أبداً.

كانـت نشأته وإقامته في المدينة النبوية كواحـد من أعيان المسلمين وعبادهم ومجاهديهم، وظل هكذا حتى وفـاة معاويـة بن أبي سفيـان وتولي ابنه يزيد بن معاوية سـدة الحكم في الدولة الإسلاميـة. فلما بلغه مقتل الإمام الحسين رضي الله عنهما، خطب بالناس وجهر بمعارضته لخلافة يزيد. فقال له أصحابه: أظهر بيعتك فإنه لم يبق أحد بعد الحسين ينازعك هذا الأمر، وقد كان يبايع سراً ويُظهِر أنه عائذ بالبيت. فأرسل يزيد إليه يطلبـه بالبيعـة، فرفض ابن الزبير، ثم أرسل إليه عشرة من وجهاء الشـام لإقناعه بالبيعة ليزيد، إلا أنه عاد ورفضـ، فأيقـن أن الحرب واقعة لامحالة بينه وبـين يزيد، فطلب وجوه تهامة والحجـاز، ودعاهم إلى بيعته، فبايعوه جميعاً وامتنع عليه عبد الله بن عباس ومحمد ابن الحنفية.

فأمـر يزيـد واليه على المدينة عمـرو بن سعيد الأشدق بتجهيـز جيشاً لمحاربة عبد الله بـن الزبير، فأرسل الأشـدق جيشاً تصدى له ابن الزبير وأنصاره وهزمـوه، ودان الحجاز لابن الزبير فبويع بالخلافة سنة ٦٤ هـ في الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان وأكثر الشام، وبعث عماله إلى هذه البلاد، وبقي مركز الخلافة فـي دمشق وبعض بلاد الشام تحـت سيطرة الأمويين، ولما آلت الخلافة الأموية إلى عبد الملك بن مروان جهز لـه جيشاً بقيادة الحجاج بـن يوسف الثقفي فحاصره وضيـق عليه الخناق واستمال عـدداً كبيراً من رجاله، فاعتصـم ابـن الزبـير بالمسجد الحـرام ولكـن الحجاج بن يوسف الثقفي ضربه بالمنجنيـق، وأصاب الكعبة وهدم بعض أطرافهـا، ثم اقتحـم المسجد وقتل أمـير المؤمنين ابن الزبير وكان ذلـك في شهر جمـادى الأولى سنة ٧٣هـ وعمره بضع وسبعون سنة. ودانت بموته البلاد الإسلامية لحكم الأمويين.

- ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ٩٩/٤
- من التاريخ الإسلامي ١ - ١٣٢ هـ، د. نزيه شحادة. دار النهضة العربية، ط: الأولى ١٩٩٨، ص:٢٧٥

خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ٦٤ - ٧٣ هـ

بعد موت يزيد بن معاوية لم يكن هناك من خليفة، وإذا كان **يزيد** قد أوصى لابنه **معاوية** فإن هذا لا يكفي للبيعة، إذ لا بيعة دون شورى، إضافة إلى أن الذين قد بايعوا معاوية بن يزيد لا يزيدون على **دمشق وما حولها وأعيان بني كلب**. وهذا مع أن معاوية بن يزيد لم يعش طويلاً، وترك الأمر شورى، ولم يستخلف أحداً، ولم يوص إلى أحد، وكان **عبد الله بن الزبير** رضي الله عنهما، قد بويع له في **الحجاز، وفي العراق وما يتبعه إلى أقصى مشارق ديار الإسلام، وفي مصر وما يتبعها إلى أقصى بلاد المغرب**، وبايعت الشام أيضاً إلا بعض جهات منها، ففي **دمشق** بايع الضحاك بن قيس الفهري لابن الزبير، وفي **حمص** بايع النعمان بن بشير، وفي **قنّسرين** زفر بن الحارث الكلابي، وفي **فلسطين** بايع نائل بن قيس، وأخرج منها روح بن زنباع الجذامي، **ولم يكن رافضاً بيعة ابن الزبير في الشام إلا منطقة البلقاء وفيها حسان بن مالك بن بحدل الكلبي**، وهكذا تمّت البيعة لعبد الله بن الزبير في ديار الإسلام، وأصبح الخليفة الشرعي، وعين نوابه على الأقاليم [١].

وتكاد تجمع المصادر على أن جميع الأمصار قد أطبقت على بيعة ابن الزبير خليفة للمسلمين، ولذلك صرّح العديد من العلماء والمؤرخين بأن بيعة ابن الزبير **بيعة شرعية**، وأنه أولى بها من مروان بن الحكم، فيروي ابن عبد البر عن مالك أنه قال: إن ابن الزبير كان أفضل من مروان وكان أولى بالأمر منه، ومن ابنه عبد الملك. ويقول ابن كثير: ثم هو - أي ابن الزبير - الإمام بعد موت معاوية بن يزيد لا محالة، وهو أرشد من مروان بن الحكم، حيث نازعه بعد أن اجتمعت الكلمة عليه وقامت البيعة له في الآفاق وانتظم له الأمر، ويؤكد كل من ابن حزم والسيوطي **شرعية ابن الزبير**، ويعتبران مروان بن الحكم وابنه عبد الملك باغيين عليه خارجين على خلافته، كما يؤكد الذهبي شرعية ابن الزبير ويعتبره أمير المؤمنين [٢].

وبذلك انعقدت البيعة لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ببيعة أكثر الأمصار الإسلامية آنذاك؛ إضافة إلى دور أهل الحل والعقد فيها، والصحابة وأبنائهم وكبار التابعين، وهذا الاجماع يجعل معاوية الثاني، ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان في مدته الأولى خارجين عن الإمام، وليسوا بخلفاء [٣].

---

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٦٢.

٢ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٦٣.

٣ - محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (الخلفاء الراشدون والدولة الأموية ٣٠ - ٤ه) ص ١٦٠.

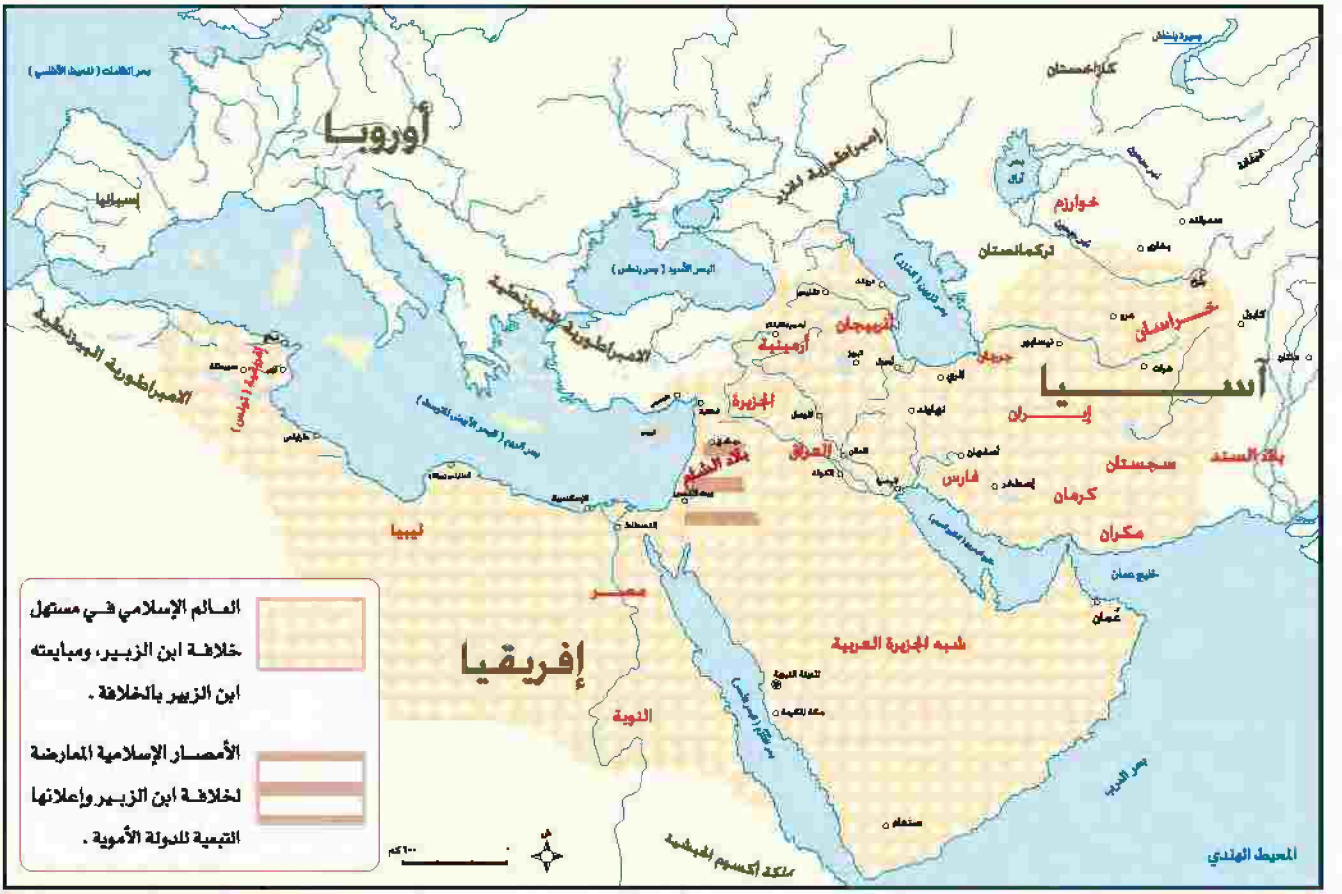

الوضع السياسي العام بعد مبايعة عبد الله بن الزبير بالخلافة سنة ٦٤ هـ

استعجل عبد الله بن الزبير حين أخرج معظم رجال بني أمية من المدينة، وكان فيهم: "مروان بن الحكم" وابنه عبد الملك، وهو ما أعطاهم الفرصة من التوجه إلى الشام، وجمع شمل الأنصار والأعوان الذين حضروا من كل مكان، وعقدوا مؤتمراً في الجابية، وبايعوا مروان بن الحكم بالخلافة، ولو أن ابن الزبير أبقى بني أمية في المدينة تحت نظره ومراقبته، وكان في مقدوره أن يفعل ذلك، لما تحققت هذه الخطوة الأولى التي كان لها شأن في انطلاق بني أمية لإعادة الخلافة لهم والقضاء على ابن الزبير. لكن نذهب إلى ما ذهب إليه كبار الفقهاء من أن بيعة ابن الزبير كانت عن رضا وإجماع من المسلمين، وترتب على ذلك أن أرسل ابن الزبير ولاته على الأمصار الإسلامية، وأبدى المسلمون رضاهم عن هؤلاء الولاة، في حين لم يبايع مروان سوى نفر قليل من أهل الشام، فضلاً عن أن بيعة ابن الزبير كانت أسبق زمناً من بيعة مروان التي جاءت متأخرة عنها، غير أن الرجلين تمسكا بالخلافة، وإن كانت الشرعية في جانب ابن الزبير، لكنها لم تكن لتحسم الأمر وحدها، بل كان للسياسة دور لا ينكر في حسم الصراع وهذا ما حدث بالفعل .